

أبعاد التلقي بين الكتاب الإلكتروني والكتاب الصوتي

Reception dimensions between e-book and audio book

د. بن لقدر مريم¹

تاريخ الاستلام: 23-02-2019 تاريخ القبول: 19-09-2019

ملخص: أسهمت الرقمنة في ظهور أشكال جديدة من البرمجيات والكتب على غرار الكتب الرقمية التي شهدت إقبالا واسعا عليها في الآونة الأخيرة، وقد أدت بدورها إلى تغيير مفاهيم التعبير والقراءة والتلقي التقليدية. وتهدف هذه الورقة إلى استكشاف أبعاد التلقي بين الكتابين الإلكتروني والصوتي وخصائصهما المختلفة. وبعد مناقشة مفاهيم كل من الرقمنة والنشر الإلكتروني والكتابين الإلكتروني والصوتي والقراءة السمعية، وكذا تحليل مجموعة من الأدوات الإجرائية الخاصة بنظرية التلقي تبين لنا أن كلاً من التلقي الإلكتروني والصوتي يختلفان عن التلقي العادي فيما يخص أفق الانتظار والتفاعل وتاريخية التلقي والقارئ الضمني وكذا الفراغات الموجودة في النص، إضافة إلى ضرورة عدم إغفال مفهوم النص المترابط.

كلمات مفتاحية: رقمنة؛ كتاب صوتي؛ كتاب إلكتروني؛ القراءة السمعية نظرية التلقي.

Abstract: Digitization has contributed to the emergence of new forms of software and books, such as digital books, which have recently become popular and led to a change in traditional concepts of

¹ معهد الترجمة، جامعة الجزائر2، البريد الإلكتروني meriem-benlakdar@hotmail

(المؤلف المرسل) meriam-benlakdar@hotmail.com

expression, reading and reception. The aim of this paper is to explore the reception dimensions of e-books, audio books and their characteristics. After discussing the concepts of digitization, e-publishing, e-books, audio books, and analyzing some tools of Reception theory, we concluded that electronic and audio receptions are different from traditional reception with respect to horizon of expectations, interaction, reception history implied reader and gaps.

Keywords: Digitization; Audio book; E-book; Audio reading; Reception theory.

مقدمة: لقد أدى تسارع وتيرة العولمة بفعل الثورة التكنولوجية الهائلة التي شهدتها العالم إلى ظهور الكثير من التقنيات الجديدة على غرار الرقمنة التي تمخض عنها تغيير في الكثير من المفاهيم التقليدية وظهرت أخرى جديدة على غرار الكتاب الإلكتروني في مقابل الكتاب الورقي، إضافة إلى بروز برمجيات الترجمة والتحرير ومعالجة الأخطاء وتحويل الفيديوها والملفات بصيغها المختلفة.

كما انتشرت المواقع التي تهتم بتحويل النصوص المكتوبة إلى أصوات وتلك التي تقدم مجموعة من الكتب الصوتية، إذ في كثير من الأحيان لا يجد الكثير من الأشخاص الوقت الكافي لقراءة الروايات المكتوبة سواء أكانت ورقية أم رقمية، غير أنهم يفضلون إراحة العين من القراءة لساعات متواصلة بالاستماع إلى محتوى هذه الكتب بينما يؤدون مهاماً أخرى، الأمر الذي أدى إلى تغيير كلي في طبيعة التلقي إذ أصبح هذا الأخير إلكترونياً وهو ما دفعنا إلى طرح الإشكالية التالية: فيم تتمثل أبعاد التلقي في الكتابين الإلكتروني والصوتي؟ ويتفرع التساؤلان التاليان عن الإشكالية التي طرحناها:

(1) ما هي أوجه الاختلاف والتشابه بين التلقي الإلكتروني والتلقي التقليدي؟

(2) إلى أي مدى يمكن تطبيق الأدوات الإجرائية الخاصة بنظرية التلقي على الكتابين الإلكتروني والصوتي؟ وللإجابة على هذين التساؤلين نقترح الفرضيتين التاليتين:

(1) قد تتمثل أوجه الاختلاف بين التلقي الإلكتروني والتلقي التقليدي في الوسيلة المستخدمة وطبيعة المتلقي وظروفه إضافة إلى طريقة عرض كل منها.

(2) يمكن تطبيق كل الأدوات الإجرائية لنظرية التلقي بدرجات متفاوتة ما دام أن التلقي الإلكتروني يعد نوعاً خاصاً من التلقي.

ولعالجة إشكاليتنا والإجابة على التساؤلات المطروحة، ارتأينا التطرق إلى مفاهيم الرقمنة والنشر الإلكتروني ومزاياه، إضافة إلى الكتابين الإلكتروني والصوتي وماهية القراءة السمعية وأسس نظرية التلقي وأدواتها الإجرائية فضلاً عن تحليل مدى إمكانية تطبيق نظرية التلقي على كل من التلقي الإلكتروني والصوتي.

1. تعريف الرقمنة: يُعتبر مصطلح الرقمنة جديدا نسبياً، بحيث ظهر لمواكبة التكنولوجيا الرقمية ويُعرف، في إطار النتاج الفكري الدولي، في قاموس علم المكتبات في النتاج والمعلومات على الخط المباشر (ODLIS) بأنه عملية تحويل البيانات إلى شكل رقمي لمعالجتها بواسطة الحاسب، إضافة إلى تحويل النص أو الصور المطبوعة إلى إشارات ثنائية قابلة للعرض على الحاسب باستعمال أجهزة المسح الضوئي¹ (يس، 2013)، فالرقمنة عبارة عن تحويل مختلف البيانات والمواد إلى صيغة مقروءة بواسطة الحاسوب باستعمال مختلف المساحات الضوئية.

أما في إطار النتاج الفكري العربي، قامت نجلاء أحمد يس بمسح شامل لأهم التعريفات المقدمة لمصطلح الرقمنة، وصاغت التعريف التالي: "الرقمنة هي

عملية تحويل المواد المطبوعة، و/أو المخزنة على الميكروفيلم أو الميكروفيش، والمواد ذات الشكل التَّناظري، والتي من نماذجها الأشرطة الصَّوتية، وأشرطة الفيديو المرئية عن طريق المسح الضَّوئي، و/أو إعادة الإدخال، إلى مواد ذات شكل رقمي وهو الشكل الدِّي يستطيع الحاسوب التَّعامل معه² (يس، 2013)، فالرقمنة بهذا المفهوم عبارة عن عمليات معقَّدة ومتشابكة تقتضي تقنيات عالية وأجهزة متطورة لتحويل المواد المطبوعة إلى أشكال رقمية.

وفي الوقت الرَّاهن، تلجأ العديد من المؤسَّسات والجامعات والمكتبات إلى رقمنة منشوراتها وملفاتها، توفيراً للجهد والوقت والمساحة وبغرض إتاحتها أمام جمهور عريض. كما تُنادي الحكومات بضرورة الانفتاح على العالم الرقمي في مجال الاقتصاد، التَّجارة، التَّعليم، البحث، الإدارة، البنوك وغيرها من مجالات الحياة اليومية لتسهيل التَّعاملات والقدرة على إدخال البيانات وتبعتها واسترجاعها.

أمَّا فيما يخصَّ الكتب، فبمجرد رُقن محتواها على الحاسوب تُصبح عبارة عن محتوى رقمي، وعند إدخال الصُّور إلى الحاسوب عن طريق الماسح الضَّوئي، فإنها تصبح صوراً رقمية. وفي هذا السَّياق، سرعان ما لجأت الكثير من دور النُّشر والصَّحف والمجلات والمؤسَّسات الاقتصادية والتَّجارية والتَّعليمية والمراكز البحثية إلى النُّشر الإلكتروني لما له من مزايا إيجابية.

2. النُّشر الإلكتروني: يعدّ النُّشر الإلكتروني الوسيلة الأساسية التي أصبح الكُتَّاب والنَّاشرون يعتمدون عليها لإيصال أعمالهم إلى فئات كثيرة ومتعدَّدة من القراء يصعب تحديدها في كثير من الأحيان. يُعرَف فلحي النُّشر الإلكتروني بأنَّه مصطلح حديث بدأ استعماله في النِّصف الثَّاني من السَّبعينيات من القرن الماضي، وهو بث المحتوى المكتوب للتداول بالوسائل الإلكترونية، خاصَّة الحاسوب ويتطلَّب عدداً من التَّقنيات كالنَّصوير الضَّوئي والحاسبات الإلكترونية وأشعة

الليزر³ (فلحي، 2014) أي إن النشر الإلكتروني عبارة عن إصدار المحتوى المكتوب إلكترونياً باستعمال أحدث التقنيات المتطورة.

كما يُعرّف النّشار السّيد النّشر الإلكتروني بأنّه: "استخدام التكنولوجيا لإنتاج وسيط إلكتروني سواء كان ذلك عن طريق نظم مستقلة كالحسابات أم عن طريق الشّبكات على اختلاف مستوياتها، وسواء كان المنشور الإلكتروني ناتجاً عن التّحويل من الشّكل المطبوع إلى الإلكتروني أم بالشّكل الإلكتروني في الأساس مع إضافة الصّوت والصّورة إن أمكن"⁴ (النّشار، 2000).

يتبيّن لنا من التعريف المذكور أعلاه أنّ النّشر الإلكتروني يختلف عن النّشر الورقي، فهو لا يحتاج إلى الورق والطباعة وإنّما يعتمد على الوسائط الإلكترونيّة التي تُتيحها التّكنولوجيات الحديثة، وينقسم إلى نوعين، نشر إلكتروني لكتاب مطبوع في الأصل أريد تحويل صيغته ليصبح متوفراً على الشّابكة أو نشر إلكتروني أصلي بمعنى أنّه لا يملك صيغة مطبوعة، إذ نُشر مباشرة إلكترونياً على الشّابكة.

وإذا أردنا تقديم تعريف تلخيصي للنّشر الإلكتروني، يمكننا القول بأنّه نوع حديث من النّشر ظهر مع تطوّر التّكنولوجيات الحديثة، يعتمد على الوسائط الإلكترونيّة في مقدّماتها الحاسوب، بحيث تُعرض مواد مختلفة على الشّاشة الزّرقاء في صيغ مختلفة متاحة أمام جميع الأفراد على اختلافهم شريطة امتلاكهم حاسوباً أو وسيطاً إلكترونياً موصولاً بالشّابكة.

1.2. مزايا النّشر الإلكتروني: يتمنّع النّشر الإلكتروني بأشكاله ووسائطه المختلفة بمزايا عديدة من أبرزها التّفاعليّة، اللامجاهريّة، اللاتزامنيّة الحركيّة، القابليّة للتحويل الانتشار، العالميّة القضاء على مركزيّة وسائل الإعلام، السّرعة توفير الجهد، توفير تكاليف الاستخدام الورقي، توفير المساحات وجود مؤثّرات التّشويق وغيرها⁵ (فلحي، 2014).

تُفسّر هذه المزايا الإقبال المتزايد على النّشر والتّلقّي الإلكترونيين، فعلى سبيل المثال يعدّ التّفاعل بين الكاتب والمتلقّي من جهة وبين جموع المتلقّين من جهة أخرى عنصراً هاماً في العمليّة التّواصلية، كما أنّ الاتصال اللاجماهيري يُمكن كل فرد إيجاد ضالّته فيما يُنشر، والتحرّر من التّزامنيّة يجعل الأفراد غير مقيّدين في عمليّة التّلقّي وأكثر راحة واستعداداً للاطلاع على المنشورات الإلكترونيّة، أمّا بخصوص الحركيّة، فهي تسمح بتحميل المحتويات الإلكترونيّة وتصفّحها في أي مكان، إضافة إلى أنّ ميزة قابليّة التّحويل تُتيح تغيير صيغة المنشور من صيغة كتابيّة إلى سمعيّة أو بصريّة، كما أنّ المنشورات الإلكترونيّة سهلة التّداول والانتشار محليّاً، جهويّاً وعالمياً.

أمّا بخصوص غياب مركزيّة وسائل الإعلام، فقد لاحظنا في الآونة الأخيرة أنّ المعلومة لم تعد حكراً على جهة معيّنة، وإنّما متاحة للجميع في كل أصقاع العالم وفي وقت واحد بفضل ميزة السّرعة في النّشر والبث، ممّا يُوفّر الجهد والوقت وتكاليف الطّبع التّقليدي مع تخصيص مساحات كبيرة للتفسير والتّحليل والتّفاعل، كما أنّ خاصيّة التّحميل والحفظ في الملفات أو الأقراص المضغوطة تسمح بالاحتفاظ بالمحتويات لفترات طويلة. كما أنّ وجود واجهات إلكترونيّة عاليّة التّصميم والجودة كفيل ببحث الأفراد على تصفّح المنشورات الإلكترونيّة في شتّى المجالات بحيث ينجذبون لها بسبب حلّتها وطريقة عرضها.

وتتعدّد المواد المنشورة إلكترونياً وتتنوّع بين الكتب والمجلاّت والجرائد والمقالات والأفلام والبرامج وتختلف صيغها بين المكتوبة والمسموعة والمرئيّة، فالنّشر الإلكتروني لا يقتصر على ما هو مكتوب فقط بل يعدّ مصطلحاً عاماً يشمل كل المواد الرّقميّة المنشورة إلكترونياً. وقد أسهم وجود عدد من البرمجيات والتّطبيقات الخاصّة بتحويل صيغ المنشورات والملفات إلى بروز المنشورات الصّوتيّة والسمعيّة البصريّة.

2.2 الكتاب الإلكتروني: إن الكتاب الإلكتروني هو كتاب رقمي، إذ تشير الصفتان إلى المفهوم ذاته ويُعرفه صالح بأنه "نص مشابه للكتاب المطبوع غير أنه في شكل قالب رقمي يتم عرضه على شكل شاشة الحاسب الإلكتروني"⁶ (صالح 2002)، كما يعتبره البعض أمثال هاوكينز (Hawkins) بأنه نسخة إلكترونية عن الكتاب الورقي⁷ (Hawkins, 2000)، أي إن الكتاب الإلكتروني عبارة عن كتاب في شكل رقمي قد يكون متوفرًا كذلك في نسخة ورقية، ويمكن أن يتألف من نصوص صور أو محتويات صوتية، ويمكن الاطلاع عليه بواسطة الحاسوب أو وسائط إلكترونية أخرى مثل الهواتف واللوحات الذكية.

يعدّ أندريز فان دام (Andries Van Dam) أوّل من صاغ مصطلح الكتاب الإلكتروني سنة 1967، ويعتبر مايكل هارت (Mickael Hart) أوّل من اخترع الكتاب الإلكتروني سنة 1971، كما ذاع صيت الكتاب الإلكتروني في الغرب مع نشر أوّل كتاب إلكتروني على المستوى التجاري سنة 2000، من تأليف ستيفن كينج (Stephen King) بعنوان (Ridding the Bullet) بحيث لاقى نجاحا كبيرا خاصّة بتوزيع خمسمائة ألف نسخة إلكترونية ما أدّى إلى تحفيز المهتمّين بسوق الكتاب الإلكتروني إلى الإقبال على نشر المزيد من الكتب الإلكترونية في شتّى المجالات⁸ (داوود، 2008)، في هذا الصدد، نعتقد أن سبب نجاح الكتاب يعود إلى نشره في صيغة إلكترونية فقط دون الصيغة الورقية، إضافة إلى شهرة الكاتب والانبهار الشديد بالنشر الإلكتروني آنذاك.

بعد نشر كتاب ستيفن كينج، ساد الاعتقاد بأن الكتاب الإلكتروني سيُنَافس بشدّة الكتاب الورقي، الأمر الذي أدّى إلى نشر كم هائل من الكتب الإلكترونية دون دراسة استشرافية مسبقة وإنتاج العديد من الأجهزة القارئة، غير أن سوق الكتاب الإلكتروني شهد ركودا نسبيا نظرا لانخفاض الطلب عليه⁹ (داوود 2008). إن التّكهن الذي كان سابقا لأوانه بخصوص قضاء الكتاب الإلكتروني

على الكتاب التَّقليدي وفرط الحماس بهذا الشَّأن، إضافة إلى عدم دراسة الآفاق المستقبلية لواقع الكتاب الإلكتروني وتمسك القراء بالكتاب الورقي ومشقات القراءة على الحاسوب تُعد من بين العوامل التي أدت إلى تراجع مبيعات الكتاب الإلكتروني من سنة 2000 إلى غاية سنة 2002 التي بدأ فيها انتعاش سوق الكتاب الإلكتروني إلى يومنا هذا.

وتنقسم الكتب الإلكترونية إلى الكتب النصية، والكتب النصية المصورة والكتب متعددة الوسائط (السَّمعية/البصرية).

3. الكتاب الصوتي: بعد الانتشار الواسع والنَّجاح الكبير الذي حققه الكتاب الإلكتروني في شتَّى المجالات، ظهر نوع آخر من الكتب الرِّقمية ألا وهي الكتب الصوتية التي سرعان ما انتشرت خاصة في ظل وجود الكثير من المواقع التي تُحول النصوص المكتوبة إلى أصوات في غضون دقائق معدودات في كل اللغات تقريباً منها (Readspeaker) و (Talktyper) و (acapelabox) وغيرها من المواقع التي تعمل على جعل محتوى النصوص المكتوبة والمواقع الإلكترونية مسموعاً بحيث يتم فقط كتابة النص في الإطار المخصَّص لذلك واختيار اللغة والصَّوت (نسائي أو رجالي) وفور الانتهاء من الكتابة والنَّقر على زر التَّحويل، يمكن بعدها الاستماع للمحتوى المكتوب وهو يُنطق، مع إمكانية تحميله في ملف خاص بالصيغة المختارة.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ انتشار المواقع التي تقدِّم خدمات تحويل المادة المكتوبة إلى منطوقة إلى انتشار ظاهرة الكتب الصوتية الموجودة في كل اللغات خاصة اللغة الإنجليزية على غرار مواقع: (audible) (audiobooks) و (LibriVox) التي تضم مجموعات متنوعة من الكتب في شتَّى المجالات.

كما يوجد في المجال العربي عدَّة منصَّات تقدِّم كتباً صوتية منها: موقع (الكتاب المسموع) الذي يضم مكتبة واسعة من المسرحيات العربية والعالمية

والعديد من الروايات العربية المترجمة، إضافة إلى باقية من الكتب العلمية والتاريخية والإسلامية المتنوعة. وموقع (مسموع للكتب العربية الصوتية)، ويضمّ قسمًا من الكتب الصوتية المجانية وقسمًا من الكتب بمقابل مادي، وموقع (اقرأ لي) الذي يهدف إلى نشر المعرفة من خلال المحتوى المسموع بتوفير العديد من الكتب والأخبار والبرامج المسموعة.

1.3 تعريف الكتاب الصوتي: يُعرف الكتاب الصوتي أو المسموع بأنه كتاب مكافئ للكتاب التقليدي في المحتوى وليس الشكل¹⁰ (Baskin & Harris, 1995). وبناء على ما سبق ذكره يمكننا تعريف الكتاب المسموع بأنه كتاب رقمي يعتمد على الوسائط التكنولوجية ويتجلى في قراءة صوتية لمحتويات مكتوبة مسبقاً مع إضافة مؤثرات صوتية وخلفيات موسيقية في كثير من الأحيان.

وقد أشار باسكن وهاريس أن بدايات الأدب كانت مسموعة ولم تكن مقروءة¹¹ (Baskin & Harris 1995). نلاحظ أن الكتب المسموعة في عصرنا الحالي تتشابه مع الشعر والحكايات التي كانت تُلقي شفاهة في القديم، وبالتالي، لا يعدّ المبدأ جديداً وإنما تكمن الجدة في الدعامة الإلكترونية المستخدمة والتي نتجت عن التطور التكنولوجي والثورة الرقمية والعملة.

2.3 أشكال الكتاب الصوتي: يأتي الكتاب الصوتي على أوجه مختلفة مثل تقديم للكتاب فقط، قراءة أجزاء من الكتاب مع إضافة مؤثرات صوتية وموسيقى أو عدم إضافتها وقراءة الكتاب ملخصاً أو كاملاً¹² (ليفنسون، 2015)، أي إنّ الناشرين والكتاب يختارون الشكل الذي يظهر عليه الكتاب المسموع والمقاطع التي يحتويها. كما تأتي الكتب المسموعة في شكل ملف (MP3) أو (WMA) ويكمن الاختلاف بينها في حجم الاستيعاب وسرعة التحميل وأجهزة التحميل.

3.3 أهمية الكتاب الصوتي: تتشابه أهمية الكتاب الصوتي إلى حد كبير مع أهمية الكتاب الإلكتروني باعتبارهما يعتمدان على الوسائط ذاتها. كما نُقر بأنّ

الهدف من استخدامهما وطريقة ذلك هما العاملان المحددان لإيجابياتهما وسلبياتهما.

لقد سبق وأن ذكرنا مزايا النّشر الإلكتروني والتي يمكن أن نكيفها إلى حد كبير لتتنطبق على الكتاب الإلكتروني والمسموع باعتبارهما من المنشورات الإلكترونية. ونضيف المزايا التّالية، على سبيل المثال لا الحصر، انطلاقاً من تجربتنا الشّخصيّة في استعمال الكتاب الصّوتي:

- التّمكن من سماع محتوى الكتاب في أي مكان وزمان مع إمكانيّة تأديّة مهام أخرى بالموازاة مع ذلك؛

- اختيار المحتويات المطلوب قراءتها دون الحاجة إلى تصفّح كل الكتاب؛
- توفير الجهد والوقت والتّكاليف لإمكانيّة تحميل أكبر عدد متاح من الكتب الصّوتيّة المتاحة على الشّابكة مجاناً؛

- جعل القراءة أكثر جاذبيّة ومتعة وحيويّة من خلال الاستماع إلى مختلف نبرات الصّوت؛

- تنميّة مهارات الاستماع والفهم والتّفسير والنّقد؛
- تسهيل عمليّة تعلم مختلف اللغات الأجنبيّة والتّعرّف على طرق النّطق الصّحيحة.

4. القراءة السّماعيّة: قبل الخوض في ماهيّة القراءة الانصاتيّة أو السّماعيّة لابدّ من تعريف القراءة بمفهومها العادي، بحيث قدّم عدد من الباحثين تعريفات كثيرة ومتعدّدة لفعل القراءة تُجمّع كلّها على اعتبارها إمّا عمليّة ميكانيكيّة تقتضي فك رموز مكتوبة وترجمتها إلى أصوات أو عمليّة عقليّة هرميّة الشّكل ترتبط بالتّفكير¹³ (إسماعيل 2011) ص.79، كما يُعرّفها إسماعيل بأنّها "عمليّة استكشافيّة تنويريّة تأويليّة ذات بعد دلالي مقصود،...وهي فعل ذهني منتج يؤدّي إلى استنباط نص جديد"¹⁴ (إسماعيل، 2011)، أي إنّ القراءة قائمة

على الاستكشاف والتأويل والتعرف على الأبعاد الدلالية التي تؤدي إلى الكشف عن المعاني المقصودة في النص المقروء وبالتالي تُعدّ عملية نشطة وتفاعلية. وانطلاقاً من تعريف القراءة عموماً، يمكننا تقديم تعريف للقراءة السماعية بأنها عملية يستقبل فيها المستمع الأصوات المنطوقة في شكل كلمات وعبارات ويقوم باستنباط معانيها ذهنياً، أي إن شخصاً آخر يقوم بالقراءة الجهرية، في حين يقوم "القارئ السامع" بتحويل الكلمات إلى معانٍ، وبالتالي، فهي ليست قراءة بالمعنى التقليدي للكلمة بل تلقي سماعي يعتمد على فهم المضمون الجهرى. ونجد هذا النوع شائعاً لدى فئة المكفوفين الذين يعتمدون على السمع مثلما كان يفعل طه حسين.

وفي هذا الصدد، نشير إلى أن الكتب الصوتية تعتمد على القراءة السماعية أو بالأحرى التلقي السماعي من خلال الاستقبال الخارجي للأصوات واستنباط العلاقات الدلالية بينها.

5. نظرية التلقي: انبثقت نظرية التلقي، التي تركز على فلسفة دينية مستمدة من الهرمينيوطيقا من أعمال النقاد الألمان من جامعة كونستانز (Konstanz) الذين نادوا بجمالية التلقي وفي مقدمتهم ياكوس (Jauss) وآيزر (Iser). وركزت هذه النظرية على علاقة القارئ بالنص وتأويله له، فتصبح بذلك القراءة شرطاً أساسياً للتأويل¹⁵ (البريكي، 2006)، أي إن نظرية التلقي تعتبر عنصري القارئ والقراءة أساسين في عملية التلقي، فالقارئ له دور فعال في تأويل النص وفق خلفياته الإيديولوجية والدينية والاجتماعية من خلال تفاعله معه، ما يفتح النص أمام آفاق جديدة تتجاوز أفق مؤلفه.

تصبح القراءة بهذا المفهوم فعلاً إبداعياً من خلال قيام القارئ بتفسير محتوى النصوص وفقاً لنظرته الخاصة الذي لم يعد متلقياً سلبي¹⁶ (البريكي، 2006)، فقد كانت النظريات السابقة تُهمل القارئ وتُركز على المؤلف باعتباره

منتج النص، أما نظرية التلقي، فتركز على العلاقة التفاعلية بين المتلقي والنص الذي يصبح منفتحاً على تأويلات كثيرة بعدد قراءته من خلال عملية الاستقبال التي تختلف من شخص لآخر.

ونشير في هذا الصدد إلى أن المتلقي يقوم باستقبال النص وتأويله وتفعيل معانيه المختلفة من خلال إطلاق العنان لذاتيته وتحرره من القيود الموضوعية سلفاً والتي تجبره على فهم النص فهماً واحداً في إطار معين دون غيره من خلال آليات الفهم والإدراك والاستنباط والتأويل.

كما تقوم نظرية التلقي على أدوات إجرائية من أهمها أفق الانتظار وتاريخية التلقي اللذين جاء بهما ياكوبس والقارئ الضمني والفراغات اللذين جاء بهما آيزر¹⁷ (البريكي، 2006)، فالقارئ هو من يتفاعل مع النص ويفك رموزه ويستنبط معانيه ويؤولها وفق خلفياته ومعارفه. "يمثل أفق الانتظار مجموعة المعايير والخبرات والأعراف الأدبية والجمالية، وقواعد النوع الأدبي التي يتمثلها القارئ في تناوله للنص وقراءته"¹⁸ (نادر، 2003)، فمن جهة، لكل من القارئ والكاتب أفق انتظار أثناء عملية القراءة والكتابة على حد سواء، ولكل جنس أدبي قواعده الخاصة ويحكم كل منهما أفق الانتظار.

تجدر الإشارة إلى أن القارئ المقصود في نظرية التلقي ليس قارئاً عادياً وإنما قارئ متمكن ذو خبرات وتجارب قرائية ومعرفة بجنس النصوص وخصائصها¹⁹ (نادر، 2003)، فلا يستطيع قارئ عادي لا يملك معارف وتطلعات مسبقة أن يتفاعل مع النص ويدرك المعايير التي تتحكم في جنس النص ويُنَاهِ السطحية والعميقة والأعمال السابقة في مجاله.

أما تاريخية التلقي فتشير إلى مقياس التأثيرات التي تتولد عن عمل أدبي معين من خلال سلسلة القراءات التي تتغير باستمرار من متلق إلى آخر. وتتراكم التأويلات المختلفة للقراء عبر الزمن، وتنتج عنها سلسلة تاريخية

للتلقي يقوم على أساسها النقد والباحثون بدراسة تطورات الأجناس الأدبية التي قد تتوافق مع النص المقروء أو تخالفه²⁰ (مصطفى وعبد الرزاق، 2016) بمعنى أن كل قارئ يتلقى النص يقوم بتأويله وفق نظريته الخاصة، ثم تتوالى التأويلات مع مرور الزمن واستنادا إلى هذه التأويلات يتم معرفة مدى توافق التلقي الأول مع الثاني ومدى مخالفته له وفي هذه الحالة ينتج أفق جديد.

أما فيما يخص مفهوم القارئ الضمني لدى آيزر، فالمقصود به قارئ يخلقه النص لنفسه يصعب الربط بينه وبين قارئ حقيقي²¹ (البريكي، 2006)، وعليه لكل نص مهما كان جنسه قارئ ضمني افترض الكاتب وجوده، وبالتالي وجه له الأفكار والأسلوب والصيغ والأشكال التعبيرية التي ضمنها نصه، يمكن أن يستشفها القارئ الفعلي ويستفيد منها في فهم مقاصد الكاتب.

يعتبر آيزر الفراغات مساحات خالية يتركها النص للقارئ الذي يملئها وفق معارفه المسبقة²² (البريكي، 2006)، أي إن كل نص يترك فراغات يسعى القارئ إلى ملئها بتمثيل ذهني لما قد تُحيل إليه لتكوين المعاني المقصودة من خلال اكتشافها وترشده الأفكار والإشارات التي وضعها الكاتب وافترضها لقارئه الضمني.

يتبين لنا أن نظرية التلقي جاءت بمفاهيم جديدة غيرت دلالات القراءة والنص والقارئ التقليديّة وجعلت من القراءة فعلا إبداعيا يتطلب جملة من المعارف والإدراكات، كما جعلت القارئ عنصرا فاعلا في عملية التلقي يقوم بالتفاعل مع النص وتأويل معانيه وترتيبها وملء فراغاته وفق أفق انتظاره المبني على خلفياته ومعرفته بالقواعد والمعايير التي تحكم النصوص وقراءاته السابقة باعتباره قارئاً كفئاً وحسن الاطلاع كما يمكنه الاعتماد على الإشارات التي يتركها الكاتب لقارئه الضمني عندما يحاول افتراض تطلّعاته وطرق تأويله للنص.

6. نظرية التلقي في الكتابين الإلكتروني والصوتي: بعد أن استعرضنا ماهية

الكتابين الإلكتروني والصوتي وخصائصهما باعتبارهما يُصنّفان ضمن خانة الكتب الرقمية، وبعد أن تطرّفنا إلى الأدوات الإجرائية لنظرية التلقي، لابد أن نربط بين الإثنين لنصل إلى كيفية تطبيق نظرية التلقي في الوسط الرقمي بكل أدواتها الإجرائية التي عالجنها أعلاه.

بالنسبة للكتاب الإلكتروني، لا يمكن الحديث عن التلقي دون الخوض في ماهية النص المترابط (hypertext) حسب تسمية سعيد يقطين، وقد تباينت المصطلحات الدالة عليه في أوساط النقاد بين النص المتفرّع والفائق وغيرها ويُعرفه بأنه "النص الناتج عن استخدام الحاسوب وبرمجياته المتطورة والتي تمكّن من إنتاج "النص" وتلقيه بكيفية تُبنى على "الرّبط" بين بنيات النص الداخليّة والخارجيّة"²³ (يقطين 2006)، أي إنّ هذا النص عبارة عن نص إلكتروني يتشكّل عن طريق الحاسوب ويتضمّن علاقات داخلية وخارجية نصية وحاسوبية ويضمّ علامات أخرى مثل الصور والرموز.

في عصر الرقمنة، يصادف القارئ العربي على سبيل المثال مجموعة كبيرة من النصوص المترابطة على شاشة حاسوبه وهو وجه الاختلاف مع الكتاب العادي الذي يحوي نصوصاً بمفهومها التقليدي. وتعدّ النصوص المترابطة في شتّى المجالات التي تتضمّن الكتب الإلكترونية جزءاً من أفق انتظار القارئ "الإلكتروني" في عصرنا الحالي بأشكالها وطرق عرضها المختلفة، بما تتضمنه من صور وخلفيات وواجهات ملوّنة تجذب الاهتمام وتحقّق المتعة والتسلية خاصّة الأدبية منها، إضافة إلى تأثير الشبكة على عملية التلقي من خلال تغيير بعض القيم والمفاهيم وعولمتها، وبالتالي يختلف أفق انتظار القارئ العادي عن نظيره الإلكتروني، إضافة إلى وجود عنصر التفاعل بين النص والقارئ وبين جموع

القراء وتعدد الخيارات المتاحة للقراءة للكتاب الواحد في الشكل واللغة وطريقة العرض.

أما بخصوص تاريخية التلقي في الكتاب الإلكتروني، فمن الممكن تتبعها بشكل أسرع وأفضل نظرا لإمكانية التفاعل الآني مع الكتاب والكاتب على حد سواء من خلال التعليقات والاستجابات (feedback) التي يُدرجها القراء في الخانات المخصصة لذلك عبر المنتديات وصفحات عرض الكتب ومواقع التواصل الاجتماعي التي تُعدّ بالآلاف بل بالملايين وتتوالى بمرور السنين، إذ تبقى مخزنة في قاعدة البيانات ويمكن قياسها ودراستها لمعرفة التطورات وضبط آفاق الانتظار ومدى توافقها أو تناقضها.

بالنسبة للقارئ الضمني في الكتاب الإلكتروني، فإنه يصعب تحديده أكثر من قارئ للكتاب العادي نظرا لعولمة الشبكة ونشر الرقمنة مما يُصعب من إمكانية تحديد الجمهور المتلقي، إضافة إلى أن الإشارات والأفكار والأساليب التي يوجهها الكاتب لهذا الأخير قد تختلف عن تلك التي يوجهها للقارئ العادي، فمثلا قد يستعمل مفردات متداولة في مواقع التواصل الاجتماعي لكون القارئ متعودا عليها، إضافة إلى ما أصبح يُعرف اليوم باللغة "العربية" التي يعتبرها البعض لغة العولمة وهي مزيج بين الإنجليزية والعربية وتعتمد على أبجدية غير محددة القواعد وغيرها من الأشكال التعبيرية الجديدة التي لم تكن متاحة للقارئ التقليدي من قبل.

وفيما يخص الفراغات الموجودة في النصوص، فإنها موجودة في الكتب الإلكترونية شأنها في ذلك شأن الكتب العادية بحيث تُطلق العنان لمخيلة القراء ملئها أثناء فعل التلقي وتأويلها كما يشاء.

أما بخصوص الكتاب الصوتي، فنعتبر أن أبعاد التلقي موجودة فيه مثل الكتاب الإلكتروني مادام أنهما موجودان في عالم رقمي افتراضي وباعتبار أن

الكتاب الصوتي عادة ما يملك نسخة إلكترونية وأخرى ورقية، فالاختلاف يكمن في طريقة التلقي السماعية فقط.

نعتبر بأن أفق الانتظار وتاريخية التلقي يتشابهان إلى حد كبير مع تلك التي ناقشناها أعلاه فيما يخص الكتاب الإلكتروني، مع إضافة عنصر الأصوات والنغمات والموسيقى الخلفية التي تميز الكتب الصوتية والتي تؤثر في أفق انتظار المتلقين وفي طريقة تفاعلهم مع النبرات الصوتية. كما أن تاريخية التلقي قابلة للمتابعة والقياس من خلال فضاءات التفاعل المتاحة على الشبابة.

فضلا عن ذلك، قد يركز الكاتب في توجيه قارئه الضمني، وهو في هذه الحالة المستمع، على الحوار ونبرات الصوت والموسيقى التي من شأنها إرشاده إلى المعاني التي يرغب في إيصالها له. والأمر ذاته ينطبق على الفراغات التي يملأها بالاعتماد على التخيل، إذ قد تدفعه الموسيقى الخلفية المستعملة في الكتب الصوتية إلى الإبحار بمخيلته إلى عوالم لا محدودة.

خاتمة: أدت الرقمنة إلى تغيير طرق القراءة والكتابة التقليدية وأثرت في العادات الإنسانية والدعامات المعرفية في كل المجالات تقريبا بما فيها الأدب. وتعدّ الكتب الإلكترونية والصوتية من أبرز مخلفات الرقمنة، إذ حلت دعامات رقمية محل الدعامات المادية مع كل ما توفره من مزايا سعة الحجم وسرعة البث والتخزين والحذف والإضافة والتغيير، وبالتالي، تغيرت معها آليات التلقي والفهم والتأويل، ولم يعدّ التلقي يفهم بمعناه التقليدي بل تعداه إلى معناه الرقمي، وتفرّعت القراءة العادية إلى قراءة إلكترونية وأخرى سماعية. وبعد مناقشتنا وتحليلنا لنظرية التلقي في مجال الكتب الإلكترونية، تبين لنا أن أبعاد التلقي لم تتغير عن تلك الخاصة بالكتب الورقية، إذ تمكنا من مناقشة الأدوات الإجرائية لنظرية التلقي المختارة وتوصلنا إلى أن الأبعاد التفاعلية، التأويلية والرقمية للتلقي موجودة في الكتب الإلكترونية والصوتية وذلك راجع إلى مزايا الرقمنة.

فضلا عن ذلك، تتمثل أوجه الاختلاف بين التلقي الإلكتروني والتلقي التقليدي في درجة التفاعل بين القارئ والكاتب وبين جموع القراء فيما بينهم وتغير ظروف التلقي والوسائل المستخدمة لذلك والصيغ التعبيرية كانتشار مصطلحات الرقمنة والمفردات المستمدة من مواقع التواصل الاجتماعي واللغة العربية، إضافة إلى وفرة العرض وطرقه السمعية البصرية بواجهات تصويرية جذابة وخلفيات موسيقية بالنسبة للصيغ الإلكترونية في مقابل الطبع العادي بالنسبة للنسخ الورقية.

أما فيما يخص قابلية تطبيق الأدوات الإجرائية الخاصة بنظرية التلقي على الكتابين الإلكتروني والصوتي، فإن ذلك ممكن ومتاح ولكن بدرجات متفاوتة بالنظر إلى أن التلقي الإلكتروني يعد نوعا خاصا من التلقي للاختلافات التي ذكرناها أعلاه فأفق الانتظار وتاريخية التلقي والقارئ الضمني والفراغات، تعدّ كلّها عناصر موجودة في التلقي الإلكتروني ويمكن استخراجها وقياسها وتحليلها تجريبيا مع مراعاة خصوصيات النشر الإلكتروني. وفي هذا الصدد نقترح إجراء دراسات تُعنى بدور الكتب الإلكترونية والصوتية في التحصيل العلمي للطلبة واكتساب اللغات وكذا الاختلافات في الأبعاد التأويلية والتفاعلية بين الكتاب الإلكتروني والصوتي من جهة والورقي من جهة أخرى.

قائمة المراجع:

- إسماعيل بليغ حمدي، إستراتيجيات تدريس اللغة العربية: أطر نظرية وتطبيقات علمية، دار المناهج للنشر والتوزيع، (الأردن، 2011).
- البريكي فاطمة، قضية التلقي في النقد العربي القديم، دار الشروق، (عمان 2006).
- النشار السيد السيد، النشر الإلكتروني، دار الثقافة العلمية، (الإسكندرية: 2000).
- داوود محمد عبود، الكتب الإلكترونية: النشأة والتطور - الخصائص والإمكانيات - الاستخدام الكمية والإفادة، الدار المصرية اللبنانية، (القاهرة، 2008).
- صالح محمد عماد عيسى، الاتجاهات الحديثة في المكتبات والمعلومات، مجلة المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ع. 17، 2002.
- فليحي محمد، النشر الإلكتروني: الطباعة والصحافة الإلكترونية والوسائط المتعددة دار المناهج للنشر والتوزيع، (الأردن: 2014).
- ليفنسون بول، أحدث وسائل الإعلام الجديدة، ترجمة ربيع هبة، دار الفجر للنشر والتوزيع، (القاهرة: 2015).
- مصطفى خالد علي وعبد الرزاق ربا، مفهومات نظرية القراءة والتلقي، مجلة دياالي ع. 69، 2016.
- نادر كاظم، المقامات والتلقي: بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمداني في النقد العربي الحديث، مملكة البحرين وزارة الإعلام الثقافة والتراث والوطني، (القاهرة 2008).
- يس نجلاء أحمد، الرقمنة وتقنياتها في المكتبات العربية، العربي للنشر والتوزيع (القاهرة: 2013).
- يقطين سعيد، من النص إلى النص المترابط (مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي) المركز الثقافي العربي، (الدار البيضاء: 2008).
- Baskin, B. H. & Harris, K. Heard any Good Books Lately? The Case for Audio Books in the Secondary Classroom Journal of Reading, 38.5, 1995, pp. 372-376.
- Hawkins, D.T., 2000, Electronic books: a major publishing revolution, general considerations and issues, Online 24(4) pp.14-28.

الهوامش:

¹ يس نجلاء أحمد: الرقمنة وتقنياتها في المكتبات العربية، العربي للنشر والتوزيع القاهرة، 2013 ص.17.

² المرجع نفسه، ص.21.

³ فلحي محمد: النشر الإلكتروني: الطباعة والصحافة الإلكترونية والوسائط المتعددة دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، 2014، ص.84.

⁴ النشار السيد السيد: النشر الإلكتروني، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، 2000 ص.15.

⁵ فلحي محمد: المرجع السابق، ص 86 - 89.

⁶ صالح محمد عماد عيسى: الاتجاهات الحديثة في المكتبات والمعلومات، مجلة المكتبة الأكاديمية القاهرة، ع.17، 2002، ص.149 - 150.

⁷Hawkins, D.T., 2000: Electronic books: a major publishing revolution, general considerations and issues, Online 24(4) pp.14-28.

⁸ داوود محمد عبود: الكتب الإلكترونية: النشأة والتطور - الخصائص والإمكانيات - الاستخدام الكمية والإفادة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2008، ص.131 - 133.

⁹ المرجع نفسه، ص.133 - 136.

¹⁰ Baskin, B. H. & Harris, K. : Heard any Good Books Lately? The Case for Audio Books in the Secondary Classroom, Journal of Reading, 38.5, 1995, pp. 372.

¹¹Ibid.

¹² ليفنسون بول: أحدث وسائل الإعلام الجديدة، ترجمة ربيع هبة، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة: 2015، ص.294.

¹³ إسماعيل بليغ حمدي: إستراتيجيات تدريس اللغة العربية: أطر نظرية وتطبيقات علمية، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، 2011، ص.79.

¹⁴ المرجع نفسه، ص.79.

¹⁵ البريكي فاطمة، قضية التلقي في النقد العربي القديم، دار الشروق، عمان، 2006 ص.39.

¹⁶ المرجع نفسه، ص.40.

¹⁷ المرجع نفسه، ص.41 - 58.

- ¹⁸ نادر كاظم، المقامات والتَّلَقِّي: بحث في أنماط التَّلَقِّي لمقامات الهمذاني في النَّدَق العربي الحديث مملكة البحرين وزارة الإعلام الثَّقافة والتَّراث والوطني، القاهرة 2008، ص.33.
- ¹⁹ المرجع نفسه، ص.34.
- ²⁰ مصطفى خالد علي وعبد الرزاق ربا، مفهومات نظريَّة القراءة والتَّلَقِّي، مجلَّة ديالي ع. 69، 2016 ص.163.
- ²¹ البريكي فاطمة، قضبيَّة التَّلَقِّي في النَّدَق العربي القديم، دار الشُّروق، عمان 2006 ص.55 - 56.
- ²² المرجع نفسه، ص.57 - 58.
- ²³ يقطين سعيد، من النَّص إلى النَّص المترابط (مدخل إلى جماليات الإبداع التَّفاعلي)، المركز الثَّقافي العربي، (الدَّار البيضاء: 2008)، ص.9.